إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر

بحوث الملتقى الدولي الثامن

جهود علماء الغرب الإسلامي في تنزيل النص القرآني على الواقع

بتاريخ: 21و22 ربيع الثاني 1444هـ / الموافق لـ 15 و16 نوفمبر 2022

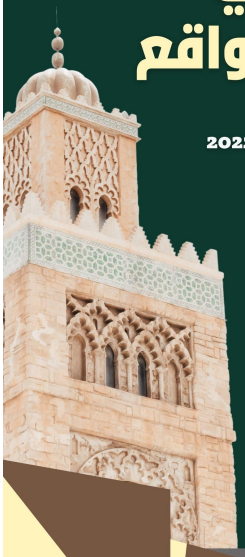

تنزيل آيات الأحكام على النوازل المعاصرة
عند الشيخ: أبي بكر جابر الجزائري
من خلال تفسيره "أيسر التفاسير مع حاشيته ـ نهر الخير ـ"

ط.د/ أمينة بوذيب، إشراف: د/ عبد القادر شكيمة
قسم أصول الدين – معهد العلوم الإسلامية – جامعة الوادي
amina-boudib@univ-eloued.dz
chekima-abdelkader@univ-eloued.dz

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

مقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتّبعهم بإحسان إلى يوم الّدين، أما بعد:

تُشكّل آيات الأحكام مادة ولودا لكثير من القضايا التي تضمنتها معاني الآيات سواء من طريق التصريح أو الاستنباط، ولذلك وجد المفسرون والفقهاء عبر العصور مجالا رحبا لاستنباط أحكام القضايا الجديدة التي ظهرت في زمانهم، فكانوا يستدلون عليها من آيات الأحكام عن طريق الاستنباط ومعرفة علل الأحكام وأسرارها .

وفي العصر الحديث ظهرت نوازل كثيرة واكبت التطور الحضاري الذي شهدته البشرية وهو الأمر الذي جعل علماء الشريعة يلجئون إلى استنباط أحكام تلك النوازل من آيات القرآن الكريم، ليعرفوا حكمها الشرعي إباحة أو منعا؛ ومن هؤلاء العلماء الشيخ: أبو بكر جابر الجزائري-رحمه الله-، من خلال تفسيره "أيسر التفاسير لكلام العليّ الكبير".

فإن المتأمل في هذا التفسير يجد فيه عناية بارزة ببيان الأحكام الفقهية التي تشير إليها الآيات تصريحا أو تلميحا، وهو الأمر الذي كان من مقاصد تأليفه لتفسيره، كما صرّح بذلك في مقدّمة تفسيره حيث قال "هذا ونظراً لليقظة الإسلامية اليوم فقد تعين وضع تفسير سهل ميسر يجمع بين المعنى المراد من كلام الله، وبين اللفظ القريب من فهم المسلم اليوم، تُبيّن فيه العقيدة السلفية المنجية والأحكام الفقهية الضرورية "[1]، والناظر في تفسيره يعرف مدى تمكن الشيخ رحمه الله من الاستنباط، فقد أوتي ملكة قوية فيه؛ خاصة وقد ظهرت في عصره مُستجدّات ونوازل يُحتاج إلى معرفة حكم الشّرع فيها، كما ظهرت بعض التأويلات الباطلة لبعض الأحكام الشرعية، ولذلك فإن الشيخ أولى هذه القضية اهتماما واضحا في ثنايا تفسيره، فتجده كلما مرّ بآية تحمل حكما شرعيا أو تشير إليه و أصبح واقع المسلمين

[1] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير وبهامشه"نهر الخير على أيسر التفاسير"، أبو بكر جابر الجزائري، دار السلام بالاتفاق مع مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: 5، (1424هـ/2003م)، ج1،ص5.

يُخالفه إلّا وأشار إليه و بيّن الحكم الصائب وخطأ ما يقع في واقع المسلمين، وذلك بتوظيف المعارف والمعلومات المتداولة عند المسلمين في حياتهم اليوميّة، فكان هذا من الجوانب الإصلاحية التي اهتم بها الشيخ في تفسيره، وهذا ما جعل كتابه "أيسر التفاسير" من التفاسير المعاصرة النافعة .

وقد اجتهدت في هذه الورقة البحثية في جمع ما تعلق بهذه القضية من تفسيره، للمشاركة بها في الملتقى الدّولي الذي نظمه –مشكورا- معهد العلوم الإسلامية بجامعة الوادي تحت عنوان "جهود علماء الغرب الإسلامي في تنزيل النص القرآني على الواقع"، وكان عنوان هذه المُداخلة " تنزيل آيات الأحكام على النوازل المعاصرة عند الشيخ: أبي بكر جابر الجزائري من خلال تفسيره "أيسر التفاسير مع حاشيته- نهر الخير-" .

وسأسعى من خلال هذه الورقة البحثية الإجابة **عن إشكاليّات وتساؤلات** متعددة مجملها:

1 – ما هي آيات الأحكام التي قام الشيخ أبو بكر جابر الجزائري بتنزيلها على الواقع؟.

2- وما هو المنهج الذي سلكه الشيخ في تنزيلاته؟ .

3 - ما القيمة العلمية لهذه التنزيلات في الساحة العلمية؟ .

-وقبل ذلك كله، من هو الشيخ أبو بكر الجزائريين وما منهجه في تفسيره؟ .

أهمية البحث:

تعددت الجوانب التي تظهر أهمية هذه المداخلة، ومجملها فيما يلي:

1- الرغبة في المساهمة في إبراز جوانب من جهود الشيخ أبي بكر التفسيرية .

2- التعرف على اهتمام الشيخ بتنزيل آيات الأحكام على الواقع.

3- الاطلاع على مدى اهتمام الشيخ بأحكام النوازل المعاصرة .

4- التأكيد على إعجاز القرآن، فهو صالح للعمل به في كل عصر ومصر.

5- إبراز اهتمام الشيخ بخدمة المسلمين وذلك ببيان بعض أحكام القرآن الفقهية بتنزيلها على الواقع المعيش.

الدّراسات السابقة:

بعد اطلاعي على البحوث التي كتبت حول الشيخ أبي بكر الجزائري، وجدت دراسات عديدة تناولت جوانب متعددة من حياة الشيخ وتفسيره ونشاطه الدعوي، غير أنني لم أجد –فيما وقع بين يدي- دراسة تناولت قضية تنزيل الآيات عنده من خلال تفسيره .

ومن تلك الدراسات التي استفدت منها في بحثي ما يلي:

- كتاب "التفسير و المفسرون في غرب إفريقيا"،د: محمد بن رزق بن طرهوني، وأصل هذا الكتاب أطروحة علمية نال بها المؤلف درجة الدكتوراه، وقد تناول في الفصل الأول من الباب الأول: تراجم المفسرين في غرب إفريقية فذكر ترجمة للذين كانوا من أهل المنطقة، ومنهم الشيخ أبو بكر-رحمه الله-،كما تطرّق في الباب الثاني إلى دراسة حول التفاسير، فذكر

منها كتاب "أيسر التفاسير" الذي جعله ضمن الفصل الثالث فجعله من أمثلة كتب التفسير بالرأي المحمود، فقام بدراسة قيّمة لهذا التفسير و بيّن منهج المؤلّف فيه .

- مقال "الشيخ أبو بكر جابر الجزائري الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسّر"، وهو مقال كتبه د: المسعود جمادي، نُشر في مجلة الإحياء، المجلد19،العدد22، سبتمبر2019، ذكر فيه ترجمة مفصّلة للشيخ أبي بكر جابر الجزائري .

كما أن هناك دراسات على المواقع الإلكترونية تتضمن السّيرة الذّاتية للشيخ، منها:

- سلسلة "أعلام السلفية (13)،ترجمة العالم الواعظ المعمّر أبو بكر الجزائري"، إعداد مركز سلف للبحوث و الدراسات، ورابطها:

. https://salafcenter.org ,wp_content/uploads

_ ترجمة (إمام المسجد النبوي) فضيلة الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، لـ عبد الله أحمد آل علاف الغامدي، ورابطها: http://saaid.net/doat/gamdi/31.htm .

المنهج المتبع:

تعددت المناهج المستعملة في هذا البحث بحسب المسألة المراد تحريرها، فقد قمت باستعمال المنهج الاستقرائي: وذلك حين تتبع تفسير الشيخ من أجل استخراج المواضع المتعلقة بالبحث، كما استعملت المنهج التحليلي: وذلك بتحليل و توضيح أقوال الشيخ في عدة مواطن .

خطة البحث:

وللإحاطة بهذا الموضوع من جميع جوانبه قمنا بتقسيم هذه الورقة البحثية إلى ثلاثة مطالب هي:

مقدمة:

المطلب الأول: مقدّمات متعلقة بمصطلحات البحث . وتحته خمسة فروع:

الفرع الأول: ترجمة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري .

الفرع الثاني: التعريف بكتاب "أيسر التفاسير" وبيان منهج مؤلفه فيه .

الفرع الثالث: تعريف تنزيل الآيات على الواقع، وأنواعه .

الفرع الرّابع: تحديد مجال التنزيل في هذا البحث .

الفرع الخامس: تعريف آيات الأحكام .

المطلب الثاني: أمثلة تطبيقية لتنزيل آيات الأحكام على النوازل المعاصرة عند أبي بكر الجزائري. وتحته ستة فروع:

الفرع الأوّل: قضية البنوك الربوية المعاصرة .

الفرع الثاني: الأحكام المتعلقة بقضية إنجاب الأولاد.

الفرع الثّالث: قضية حرمة العادة السّريّة والحفلات الغنائيّة .

الفرع الرابع: كيفية إعداد القوة للجهاد وحكم أسرى فلسطين.

الفرع الخامس: بيان مقدار المسافات والمكاييل المعاصرة في مسافة القصر ومقدار فدية الصيام.

الفرع السادس: الرد على من أنكر القصاص في الحضارة الغربية المعاصرة ومن تأثر بها.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج المتوصل إليها .

وتفصيل ذلك كله كما يلي:

المطلب الأول: مقدّمات متعلقة بمصطلحات البحث .

الفرع الأول: ترجمة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري .

أولا: اسمه و نسبه و نشأته:

هو الشيخ أ بو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر الجزائري، غلبت عليه الكنية فعُرف بأبي بكر الجزائري، **واسم أبيه** موسى بن عبد القادر بن جابر، و جابر جدّه الأكبر، و كنية: أبو عبد الرحمن .

والشيخ من بني هلال أحد القبائل العربية، و التي خرجت من الجزيرة العربية، واستقرت في إفريقيا واستوطنتها، فهو عربي الأصل .

ولد بالنواة القديمة أو ما يعرف بالدشرة القديمة، أي أنّه ينتمي لعرش جابر المعروفين ببساطتهم وتعلقهم بالدين بقرية (ليوه) بكسر اللام مع المد، وفتح الواو ثم بعدها هاء، وهي قرية زراعية من قرى بسكرة، بينها وبين بسكرة أربعون كيلومترا، وكان مولده عام (1342هـ/1921م) وقيل عام (1340هـ)، وتوفي والده في عامه الأوّل، فنشأ يتيما في حجر أمّه.

وله ابن واحد وهو الدكتور عبد الرحمن بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وله من البنات تسع، ومن الأحفاد و الأسباط ما يفوق السّتّين عددا[1] .

ثانيا: طلبه للعلم:

كانت أسرته: آباؤه وأجداده حفّاظ القرية للقرآن الكريم، يتوارثون ذلك، فنشأ في ذلك الجوّ المتديّن، فأشرفت أمّه على تعليمه وتحفيظه القرآن الكريم، وغرست فيه الأخلاق الفاضلة، فأتمّ حفظ القرآن في سنّ السادسة عشر، أو الرابعة عشر، وكان له شرف إمامة الناس وعمره ست عشرة سنة، ثم أضاف إلى ذلك حفظ الآجرّومية في النحو، ومنظومة ابن عاشر في الفقه المالكي، ومن ثَمّ انتقل إلى بسكرة، فدرس على أحد شيوخها نعيم النعيمي، وفي أثناء ذلك قدم قرية ليوة شيخ فاضل يسمى "عيسى معتوقي" فعاد إليها ليدرس عليه العربية و المنطق ومصطلح الحديث وأصول الفقه، وكان الشيخ قد دخل في هذه الفترة مرحلة الشباب، فرحل إلى العاصمة ليعمل مدرّسا في إحدى المدارس الأهلية، وهناك بدأت مرحلة جديدة في حياته، إذ جمع إلى عمله في التدريس مواصلة الدراسة على الشيخ

[1] التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، د محمد بن رزق بن طرهوني،ط1، 1426،دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع،ج1،ص201-202 .

الطيب العقبي الذي كانت له شهرة في ميادين العلم والإصلاح، فلزم دروسه في التفسير طوال سنوات، فكان لهذه الملازمة أثرها الكبير في شخصيته، إذ يعتبره من أفضل مشايخه والموجّه الأكبر لسلوكه في النهج الإسلامي الصحيح [1].

ولقد شارك الشيخ في مختلف ألوان النشاط الإسلامي فعمل في (حزب البيان الجزائري)، ثم في (شباب الموحدين)، ومارس التعليم لكتاب الله مدة أربع سنوات، ثم في تعليم الأحداث من بنين وبنات لمدة أربع سنوات في العاصمة، وعمل في الصحافة فأنشأ مجلة (الداعي)، والتي لم يصدر منها سوى بضعة أعداد، وكانت كاسمها؛ دعوة إلى توحيد الأحزاب والجمعيات الجزائرية، وبعد احتجاب (الداعي) أسندت إليه إدارة جريدة (اللواء) الناطقة بلسان شباب الموحّدين، واستمر على إدارتها حتى ترك الجزائر مهاجرا إلى الحجاز في عام (1372هـ)، فقدم إلى مكة للحج والعمرة والزيارة، وكان قصده بعد أداء فريضة الحج الرجوع إلى بلده إلا أن الإخوة الجزائريين المهاجرين المقيمين بالمدينة حبّبوا له البقاء للاستفادة منه، ولاسيما عمّه عيسى-رحمه الله- والذي كان محبا للمدينة النبوية وتمنى الموت بها، وقد استجاب الله دعاءه فتوفي بعد الحج مباشرة، فتأثر الشيخ بذلك في حبه للبقعة المباركة -المدينة النبوية الطاهرة-، فأحب المدينة فصار من أعلامها وهذه ثمرة الحب الصادق فعزم على البقاء وواصل بعد ذلك الأخذ على مشايخ المدينة؛ فلازم حلقة الشيخ عمر بري، والشيخ محمد الحافظ، وكذلك الشيخ محمد الخيال، ورئيس قضاتها وخطيب مسجدها الشيخ عبد العزيز بن صالح .

ثم بعد ذلك عام(1374هـ،1961م) نال الشهادة العالمية من كلية الشريعة بجامعة الرياض، وحصل على إجازة من رئاسة القضاة بمكة المكرمة للتدريس بالمسجد النبوي الشريف، فأصبحت له حلقة يدرس فيها تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف وغير ذلك، وقد أمّ الناس به في صلاة العصر عام(1413هـ)عندما تأخّر إمام المسجد النبوي الشّيخ عبد العزيز بن صالح، ولذلك ذكره عبد الله بن أحمد العلاف الغامدي في كتابه "أئمّة الحرمين" تحت عنوان "مشايخ كان لهم شرف الإمامة في المسجد النبوي" [2].

ثالثا: شيوخه وتلاميذه:

درس على يد العديد من المشايخ في بلاده الجزائر، وفي المدينة المنورة، ومن هؤلاء:

أ- من مشايخه في الجزائر: الشيخ نعيم النعيمي، الشيخ عيسى معتوقي، الشيخ الطيب العقبي .

ب- ومن مشايخه في المدينة المنورة: الشيخ عمر بري، الشيخ محمد الحافظ، الشيخ محمد الخيال .

---

[1] المرجع نفسه، ج1،ص201-202 .

[2] أئمة الحرمين، عبد الله بن أحمد العلاف الغامدي، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، 1432هـ، ص122 .

وأمّا تلاميذه فقد تخرّج على يديه الكثير من الطلاب من الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية في مرحلتي الماجستير والدكتوراه في قسم التفسير، أما في كلية الشّريعة بالجامعة، والمسجد النبوي الشريف فلا يُحصي عدد ذلك إلا الله، منهم: الشيخ العلامة عبد الرحمن بن صالح بن محيي الدين، والأستاذ الدكتور عدنان بن عبد العزيز الخطيري، والشيخ عبد الرحمن بن صدوق الجزائري، والشيخ إدريس بن إبراهيم المغربي، والشيخ حمزة بن حامد بن بشير القرعاني، والشيخ الدكتور عبد الله بن الشّيخ محمد الأمين، والشيخ حسام الدّين عفانة، والشيخ صالح المغامسي، وغيرهم .

رابعا: أعماله:

شغل الشيخ عدة مناصب خلال حياته أهمها:

1-مدرسا بوزارة المعارف وذلك في المدرسة المحمدية .

2-مدرّسا بالمدرسة السّلفية .

3-مدرسا بدار الحديث المدنية .

4-مدرسا بالجامعة الإسلامية التي كان له دور فعّال في إنشائها، حيث دعى المسؤولين إلى بنائها، والتحق بها الشيخ، وبقي فيها حتى أحيل للتقاعد عام 1406هـ .

5-مدرسا وواعظا بالمسجد النبوي الشريف، فقضى فيه أكثر من خمسين عاما .

6-كان من الدّاعين إلى إنشاء رابطة العالم الإسلامي، وإذاعة القرآن الكريم .

وقد عرف الشيخ على نطاق واسع بحكم ممارسته للتدريس بالحرم النبوي لخمسين عاما ’ويعد كتابه"منهاج المسلم" من أكثر مصنفاته قبولا وانتشارا في البلدان العربية، كما اكتسب مكانة مهمة في الوسط الأكاديمي الشرعي من خلال عمله أستاذا بالجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة لأزيد من عشرين عاما [1] .

خامسا: مؤلفاته:

تميزت مؤلفات الشيخ بسهولة الأسلوب و جزالة التركيب وقوّتهوقربها من الفهم، تآليفه إصلاحيّة دعويّة لتقريب و تفهيم الإسلام الصحيح الخالي من البدع، وقد قام بتأليف عدد كبير من المؤلفات، منها:

1- منهاج المسلم، كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات،وهو من أكثر مصنفاته قبولا وانتشارا في البلدان العربية .

2- عقيدة المؤمن:يشمل على أصول عقيدة المسلم جامع لفروعها.

3- العلم و العلماء .

4- نداءات الرحمن لأهل الإيمان .

[1] التيسير اللغوي لمعاني القرآن بالتفسير و البيان لدى أبي بكر الجزائري من خلال كتابه-أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير-، حيزية كروش، أقلام الهند، السنة الرابعة،العدد الرابع، (أكتوبر-ديسمبر2019)/ دراسات و مقالات .

5-الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو و الإجحاف .

6-المرأة المسلمة .

7-هذا الحبيب محمد-صلّى الله عليه وسلّم-يا محب .

8-رسائل الجزائري: وتبلغ رسائل الشّيخ أكثر من مائة رسالة إصلاحيّة هادفة جمعت معظمها في مجلدات خمس باسم رسائل الجزائري، وغيرها من المؤلفات .

9- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، وبهامشه: نهر الخير على أيسر التفاسير". وهو تاج مؤلفاته .

سادسا: وفاته:

توفي رحمه الله في المدينة المنورة قبيل فجر الأربعاء 4 ذو الحجة 1439هـ الموافق 15 أغسطس 2018م، عن عمر ناهز 97 عاما، بعد صراع مع المرض، وصلي عليه صلاة الجنازة بعد ظهر يوم وفاته في المسجد النبوي الشريف، ودفن في مقبرة البقيع [1] . فرحمه الله وجزاه خيرا على ما قدّم للإسلام والمسلمين .

الفرع الثاني: التعريف بكتاب "أيسر التفاسير" وبيان ومنهج مؤلفه فيه .

أولا: التعريف بالتفسير:

من أبرز مؤلفات الشيخ والتي شهدت رواجا كبيرا كتابه في التفسير "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير"، وهو مطبوع في خمس مجلدات، ووضع له حاشية سمّاها "نهر الخير" طُبعت بهامشه، والتي جعلها كالتعليق على تفسيره، أضاف فيها بعض الزّيادات؛ كالشّواهد اللغويّة، والآثار و الأحاديث النبويّة، و ذكر الاختلاف الوارد في الآية ذات الوجوه، وغيرها من الفوائد التي رآها مناسبة، والتي ذكرها في مقدمة تفسيره، هذا وقد بيّن الشيخ-رحمه الله- السبب الدّاعي لكتابة هذا التفسير في فقال: "هذا ونظراً لليقظة الإسلامية اليوم فقد تعين وضع تفسير سهل ميسر يجمع بين المعنى المراد من كلام الله، وبين اللفظ القريب من فهم المسلم اليوم. نُبَين فيه العقيدة السلفية المنجية، والأحكام الفقهية الضرورية، مع تربية ملكة التقوى في النفوس، بتحبيب الفضائل وتبغيض الرذائل، والحث على أداء الفرائض واتقاء المحارم. مع التجمل بالأخلاق القرآنية والتحلي بالآداب الربانية. وقد هممت بالقيام بهذا المتعين عدة مرات في ظرف سنوات،..." [2] .

---

[1] ينظر ترجم الشيخ موسعة المراجع الآتية: مقال : الشيخ أبو بكر جابر الجزائري الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسّر، د المسعود جمادي،مجلة الإحياء، المجلد19،العدد22، سبتمبر2019،ص ص:627-660، ومقال: أعلام السلفية(13)، ترجمة العالم الواعظ المعمّر أبو بكر الجزائري، إعداد مركز سلف للبحوث والدراسات، https://salafcenter.org ,wp_content/uploads/08/2018،

ومقال: بعنوان: ترجمة (إمام المسجد النبوي) فضيلة الشيخ أبو بكر جابر، عبد الله أحمد آل علاف الغامدي، الجزائري،

http://saaid.net/doat/gamdi/31.htm .

[2] أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ج1،ص7 .

ثانيا: منهجه فيه:

قام الشّيخ أبو بكر الجزائري بتوضيح منهجه في مقدمة تفسيره، حيث ذكر أنّ مميزات هذا التفسير:

- الوسطية بين الاختصار المخل، والتطويل الممل .

- اتباع منهج السلف في العقائد والالتزام بعدم الخروج عن المذاهب الأربعة في الأحكام الفقهية .

- إخلاؤه من الإسرائيليات صحيحها وسقيمها إلا ما لا بد منه لفهم الآية الكريمة وكان مما تجوز روايته لحديث.. "وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"[1] .

- صرّح أيضا بإغفال الخلافات التفسيرية و الالتزام بما رجحه ابن جرير الطبري في تفسيره عند اختلاف المفسرين في معنى الآية، وقد لا يأخذ برأيه في بعض التوجيهات للآية .

- إخلاء الكتاب من المسائل النحوية والبلاغية والشواهد العربية وعدم التعرض للقراءات إلا نادراً جداً للضرورة حيث يتوقف معنى الآية على ذلك .

- بالنسبة للأحاديث فقد اقتصر على الصحيح والحسن منها دون غيرهما، ولذا لم يعزها إلى مصادرها إلا نادرا .

- جاء تفسيره خاليا من ذكر الأقوال وإن كثرت والالتزام بالمعنى الراجح والذي عليه جمهور المفسرين من السلف الصالح،حتى إن القارئ لا يفهم أن هناك معنىً غير الذي فهم من كلام ربه تعالى .

وهذه ميزة جليلة وذلك لحاجة جميع المسلمين على فكر إسلامي موحد صائب سليم ولذا فقد جعل الكتاب دروساً منظمة متسقة فقد يجعل الآية الواحدة أو الآيتين أو أكثر درساً فيشرح كلماتها، ثم يبين معناها، ثم يذكر هدايتها المقصودة منها للاعتقاد والعمل [2] .

الفرع الثالث: تعريف تنزيل الآيات على الواقع، وبيان أنواعه .

أولا: تعريفه:

عرّف الدكتور عبد العزيز الضامر تنزيل الآيات على الواقع بقوله :"هو مقابلة الأحداث المعاصرة للمفسّر بما يشابهها في كتاب الله تعالى، سواء كانت المقابلة تامة أو جزئية أو مخالفة لما عليه الآية"[3]، فإذا قام المفسر بإسقاط معنى آيات القرآن على واقعه الذي يعيشه فهو تنزيل للآيات على الواقع .

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم: 3274 .

[2] هذا ملخص ما ذكره الشيخ في مقدمة تفسيره مبينا منهجه فيه، ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبي بكر جابر الجزائري،ج1،ص6 و7.

[3] تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، دراية وتطبيق، عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر، الطبعة الأولى (1428-2007)،جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ص33 .

ثانيا: أنواعه:

هناك عدة اعتبارات تقسم وفقها قضية تنزيل الآيات على الواقع منها: تقسيمها باعتبار التصريح والتلميح، و هي على نوعين:

1-تنزيل التصريح: وهو أن يصرّح المفسّر بأن معنى هذه الآية حاصل في زمنه وواقعه، فيعبر عنها أثناء تفسيره للآية بقوله: "كما هو الحاصل في زماننا"، أو "..وهذا ما يكون في مجتمعنا "، ونحو ذلك من العبارات التي تفيد تصريح المفسّر بما يكون في واقعه مشابها لما كانت عليه الآية الكريمة .

2- تنزيل التلميح: وهو أن يشير المفسّر إلى أن معنى هذه الآية حاصل في زمنه وواقعه دون أن يصرّح بذلك بل يورده على سبيل التعريض و التلميح، ولعل السبب في ذلك -والله أعلم - يرجع إلى الحالة السياسية في تلك الفترة التي لا تسمح بالإفصاح عن ما يكون فيها من القهر و الظلم، والفساد والإفساد، والمخالفات العقدية والاجتماعيّة ونحو ذلك ممّا يضطرّ المفسّر إلى عدم التصريح خشية الإيذاء والتنكيل، ومنعا للفتنة و حقنا لدماء المسلمين، فيتّخذ القرآن سبيلا وطريقا لتوجيه الناس من خلاله وربطهم به[1] .

ومن خلال استقراء تنزيلات الشيخ أبي بكر الجزائري نجدها اشتملت على هذين النوعين:

- **فتنزيل التصريح** جاء في مواضع كثيرة من تفسيره، وقام الشيخ بتوظيف مجموعة من الألفاظ و الصّيغ الدّالة عليه، فتجده أحيانا يقول: "حال....اليوم"، أو يقول "وهو يعادل...الآن"، أو "ما يعرف الآن.."، "والواقع شاهد على هذا"، "وهذا مشاهد منهم اليوم"، "لا يزال..."،"مازال إلى اليوم..."، "وهو شأن.....طوال الحياة" وغيرها من الصّيغ .

ومن الأمثلة على ذلك ما قاله الشّيخ أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴾ مريم: 59، فقال "قوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ ﴾ مخبر تعالى عن أولئك الصالحين ممّن اجتبى وهدى من النّبيين وذرّيّاتهم، انه خلف من بعدهم خلف سوء كان من شأنهم أنهم ﴿ أَضَاعُوا الصَّلاةَ ﴾ فمنهم من أخّرها عن أوقاتها ومنهم من تركها ﴿ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ﴾ فانغمسوا في حمأة الرذائل فشربوا الخمور وشهدوا الزور وأكلوا الحرام ولهوا ولعبوا وزنوا وفجروا، بعد ذهاب أولئك الصالحين كما هو حال النصارى واليهود اليوم وحتى كثير من المسلمين،..." [2] .

- **وأمّا تنزيل التلميح** فهو موجود أيضا في تفسيره، ومن أمثلته ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ ٥٨ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ الروم:58-59، حيث قال "في هذه

---

[1] المصدر السابق، ص:71-72.

[2] المرجع نفسه، ج3،ص319.

الآية إنذار خطير للجهال وتنديد بالجهل، إذ أهله لا يفهمون عن الله ولا يهتدون إلى سبل الخير وطريق السعادة والكمال ولذا أوجب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلب العلم على كل مسلم في قوله "طلب العلم فريضة على كل مسلم"[1]، وما أصاب المسلمين ما أصابهم من خوف وهون ودون إلا نتيجة لجهلهم بربهم ومحابه ومكارهه وضروب عباداته وكيفيات أدائها لتزكوا بها نفوسهم وتطهر أرواحهم وقلوبهم"[2]. فهذا تلميح منه للواقع الذي يعيشه المسلمون.

- ومن أمثلته أيضا: ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ النور: 35، حيث قال: " الإشارة إلى أن ملة الإسلام لا يهودية ولا نصرانية، لا اشتراكية ولا رأسمالية . بل هي الملة الحنيفية من دان بها هدى ومن كفرها ضل" فهو تلميح منه على بطلان نظام الدول الكافرة و مناهجها و قوانينها وأنّ الإسلام هو دين الهدى المحقق لسعادة الإنسان في الدّارين [3].

الفرع الرابع: تحديد مجال التنزيل في هذا البحث:

إن الناظر في تفسير الشيخ أبي بكر جابر الجزائري يجد فيه عناية بارزة بتنزيل الآيات في الواقع، فقد أراد أن يكون تفسيره مُقرّبا لمعاني القرآن للمسلمين، وتماشيا مع واقعهم المعاصر، وقد أشار إلى هذا في مقدمة تفسيره فقال: " هذا ونظراً لليقظة الإسلامية اليوم فقد تعين وضع تفسير سهل ميسر يجمع بين المعنى المراد من كلام الله، وبين اللفظ القريب من فهم المسلم اليوم" [4].

وبعد التتبع لتفسيره نجد تنوع مجالات التنزيل عند الشيخ، فنجدها تدور بين: العقدية، والاجتماعية، والّدعوية، والمتعلقة بالآداب الإسلامية، وما يتعلق بأحوال المسلمين في هذا العصر، وغيرها.

وبما أن البحث خاص بتنزيل آيات الأحكام على الواقع والنوازل المعاصرة، فإننا سنسلط الضوء على هذا الجانب من التنزيلات دون غيره عند الشيخ، وهو من الجوانب المهمة في حياة المسلم وعلاقته بربه .

الفرع الخامس: تعريف آيات الأحكام :

المقصود بآيات الأحكام في بحثنا هذا هي: الآيات التي تضمنت أو أشارت إلى أحكام فقهية عملية، فجميع آي القرآن يمكن استنباط الاحكام منها سواء أكانت في القصص او

---

[1] رواه ابن ماجه في سنن، [افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم]، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم: 224 .

[2] أيسر التفاسير، ج4،ص195.

[3] المرجع نفسه، ج1، ص55، الهامش4.

[4] المرجع نفسه، ج1، ص7.

العقائد أو الآداب.

وانطلاقا مما سبق فقد اختلف المفسرون والفقهاء في تحديد آيات الأحكام وبيان عددها، بسبب اختلاف أنواعها، فهناك: الأحكام الصريحة، وفي مقابلها: الأحكام المستنبطة، وهذا أمر يختلف بين العلماء، فنجد منهم من يكتفي بذكر الأحكام المصرح بها في الآية فيكون تحديده مختلفا عمن آتاه الله مَلَكة في الاستنباط، فتجده ينص عليها حتى من آيات القصص و الترغيب و الترهيب .

وهذا المسألة نبه عليها الإمام الزركشي في البرهان حيث قال: " ثم قيل: إن آيات الأحكام خمسمائة آية، وهذا ذكره الغزالي وغيره، وتبعهم الرازي، ولعل مرادهم المصرح به، فإن آيات القصص والأمثال وغيرها يستنبط منها كثير من الأحكام، ومن أراد الوقوف على ذلك فليطالع كتاب الإمام الشيخ عز الدين بن عبد السلام.

ثم هو قسمان:

أحدهما: ما صرح به في الأحكام؛ وهو كثير، وسورة البقرة والنساء والمائدة والأنعام مشتملة على كثير من ذلك والثاني: ما يؤخذ بطريق الاستنباط "[1] .

وقد كان الشيخ أبو بكر الجزائري ممن أُوتي قوة في الاستنباط وبيان الأحكام، فاستنبط في الآيات الصريحة وغيرها، كما سأبينه في المطلب الثاني التطبيقي .

المطلب الثاني: أمثلة تطبيقية لتنزيل آيات الأحكام على النوازل المعاصرة عند أبي بكر الجزائري

بعد عملية الاستقراء التي قمت بها في تتبع تنزيلات الشيخ لآيات الأحكام على النوازل المعاصرة وجدتها كثيرة ومتنوعة وذلك نظرا لكثرة المستجدات إضافة إلى أن قضية التنزيل كانت من مقاصد الشيخ في تفسيره، وقد اخترت ستة نماذج لقضايا متنوعة تعطينا منهجا عاما لطريقة الشيخ في التنزيل، جعلت كلّ أنموذج منها فرعا للمطلب وتفصيلها كما يلي:

الفرع الأوّل: قضية البنوك الربوية المعاصرة:

وقد تحدث الشيخ عن قضية ربا البنوك المعاصرة في ثلاثة مواضع من تفسيره، ففي الموضع الأول منها: رد الشيخ أبو بكر الجزائري على من لم يعتبر النوك المعاصرة بنوكا ربوية مثلها مثل ربا الجاهلية المحرم، وذلك لما فسر قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٨ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ البقرة: 58-59، حيث ذكر الشيخ عدم امتثال بني إسرائيل لأمر الله لما أمرهم الله به حين دخولهم بيت المقدس، بأن يدخلوا الباب سجداً ويقولوا حطة لذنوبنا، فخالفوا أمر الله

[1] البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، ت:محمد أبو الفضل إبراهيم،ط1، (1376هـ - 1957م)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ج2،ص3،4 .

بتغييرهم الفعل الذي أمروا به والقول الذي قيل لهم فدخلوا الباب زاحفين على أستاهم قائلين: حبة في شعيرة فابتعدوا عن مراد الله، ثم نزل الشيخ الآية على قضية قديمة حديثة وهي "حرمة تأويل النصوص الشرعية للخروج بها عن مراد الشارع منها، ومثّل بها بمثال معاصر فيمن لم يعتبر معاملات البنوك المعاصرة معاملات ربوية فقال: "كتأويل الروافض، لفظ: بقرة بعائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ ﴾ البقرة: 67، **وكتأويل بعض المعاصرين إن ربا البنوك ليس هو ربا الجاهلية الحرام** "[1].

وأما الموضع الثاني الذي تحدث فيه الشيخ عن قضية البنوك المعاصرة فكانت عند تفسيره لقوله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ البقرة: 275، حيث بيّن الشيخ صفة المعاملة في ربا البنوك المعاصرة فقال:" وحقيقته أن يكون لك على المرء دين فإذا حل أجله ولم يقدر على تسديده تقول له: أخر وزد. فتؤخره أجلاً وتزيد في رأس المال قدراً معيناً، هذا هو ربا الجاهلية، **والعمل به اليوم في البنوك الربوية** فيسلفون المرء مبلغاً إلى أجل ويزيدون قدراً آخر نحو العشر أو أكثر أو أقل، والربا حرام بالكتاب والسنة والإجماع وسواء كان ربا فضل أو ربا نسيئة"[2].

وأما في الموضع الثالث فقد شدد الشيخ أبي بكر في ربا البنوك المعاصرة وجعله أشدّ من ربا الجاهلية، وذلك لما فسّر قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ ﴾ آل عمران: 130، حيث قال الشيخ :" **ربا البنوك اليوم شر من ربا الجاهلية** هو: أن يبيع الرجل أخاه شيئاً إلى أجل فإذا حلّ الأجل ولم يجد سداداً قال له أخّر وزد، أما ربا البنوك فإنه يبيعه نقداً بنقد إلى أجل بزيادة فورية يسجلها عليه"[3].

ومما سبق يظهر اعتناء الشيخ بقضية تنزيل الآيات على البنوك الربوية المعاصرة، واستغلاله لكلّ مناسبة تطرأ للتنبيه على خطر التعامل مع هذه البنوك والتحايل في ذلك والرد على من يحرف حقائق الأشياء وسميها بغير اسمها .

الفرع الثاني: الأحكام المتعلقة بقضية إنجاب الأولاد:

وهذه القضية قديمة وتعرض لها الفقهاء والمفسرون بالحديث، ولكن الشيخ أبي بكر الجزائري لما فسّر الآيات المتعلقة بها تحدث عن عدة قضايا معاصرة تتعلق بإنجاب الأولاد القضية؛ يمكن تلخيصها في أربعة مسائل هي: علاج العقم،تحديد النسل، معرفة جنس الجنين، تناول حبوب منع الحمل، وذلك في عدة مواضع من تفسيره، بيانها كما يلي:

---

[1] أيسر التفاسير، ج1، ص60 .
[2] المرجع نفسه، ج1،ص268 .
[3] المرجع نفسه، ج1، ص374 .

1- **القضية الأولى: علاج العقم**: لا شك أن الذرية الطيبة من أجلّ نِعم الودود الكريم على عباده، و السعي لتحصيل هذه النعمة جائز ومطلوب، وذلك باتّخاذ الأسباب اللازمة لذلك كالزواج مثلا، والتّداوي المشروع وغيرها، وقد يبتلي الله العبد بالعقم، فيستعجل بعضهم الحمل بأي طريق مشروع أو ممنوع خاصة في العصر الحديث الذي تطور فيه الطب وظهرت طرق مخالفة للشرع، ولذلك ورد في القرآن الكريم حصر هذه القضية في أربعة أقسام: فالله تعالى يهب لعباده من الأولاد ما يشاء فيخص بعضا بالإناث وبعضا بالذكور، وبعضا بالصنفين جميعا، ويجعل البعض عقيما، والعقيم التي لا تلد، وكذلك رجل عقيم إذا كان لا يولد له وذلك في قوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ الشورى: 49 [1]، ولذلك فإن الشيخ أبي بكر الجزائر لما فسر هذه الآية نبه على بعض الطرق الحديثة لمعالجة العقم وبين أنها مخالفة للشرع ليجتنبها المسلمون، فقال-رحمه الله-"من هداية الآيات... وجود عقم في الرجال وعقم في النساء، ولا بأس بالعلاج الجائز المشروع عند الشعور بالعقم أو العقر، **أما ما ظهر الآن من بنوك المني**، والإنجاب بطريق صبّ ماء فحل في فرج امرأة عاقر وما إلى ذلك فهذه من أعمال الملاحدة الذين لا يدينون لله بالطاعة له والتسلم لقضائه، وإن صاموا وصلوا وادعوا أنهم مؤمنون إذ لا حياء لهم ولا إيمان لمن لا حياء له، وحسبهم قبحا في سلوكهم هذا الكشف عن السوءات بدون إنقاذ حياة ولا طلب رضا الله رب الأرض والسموات" [2].

2- **القضية الثانية: تحديد النسل**: انتشرت ظاهرة تحديد النسل في البلدان الغربية الكافرة، حيث تدعو المتزوجين إلى إنجاب عدد محدد من الأولاد لا ينبغي تجاوزه، لزعمهم أن هذا يُؤمّن حياة رائقة في شتّى المجالات: الاقتصاديّة و الاجتماعية وغيرها، وللأسف الشديد فإن هذا المفهوم الباطل انتشر لدى الكثير من المسلمين، وقد بيّن الشيخ بطلانه أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ الأنعام: 137. فهذه الآية ذكر فيها قتل المشركين لأولادهم بالوأد والذبح، قربانا إلى الأصنام، وخوفًا من الجوع أو من العار، وكانوا يقتلون البنات دون البنين[3]، ولما فسر الشيخ أبي بكر الجزائري الآية، قاس عليها ظاهرة تحديد النسل التي انتشرت بين مُختلف المجتمعات المعاصرة فقال -رحمه الله-: "**وتحديد النسل اليوم وإلزام الأمة به** من بعض الحكام من عمل أهل الجاهلية الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم كقتل البنات خشية العار والأولاد خشية

---

[1] الأساس في التفسير، سعيد حوّى، دار السلام – القاهرة الطبعة: السادسة، 1424 هـ، (9/ 5097).

[2] أيسر التفاسير، ج4، ص623.

[3] التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الغرناطي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى - 1416 هـ، (1/ 276)، والبحر المديد ابن عجيبة الحسني، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية / 2002 م . 1423 هـ (2/ 209).

الفقر"[1].

كما استدل الشيخ على هذه القضية بما صدر عن فرعون حين أمر بقتل أولاد بني إسرائيل و ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص: 4، حيث قال "فاستعمل طريقة تقليلهم والحد من كثرتهم بذبح الأولاد الذكور منهم وإبقاء الإناث منهم **وهي سياسة تشبه تحديد النسل اليوم** التي يستعملها الهالكون اليوم وهم لا يشعرون"[2].

3- **القضية الثالثة: معرفة جنس الجنين**: ورد في القرآن الكريم أن علم ما في الأرحام من مفاتح الغيب الخمس التي اختص بها الله تعالى وذلك في قوله تعالى وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ لقمان: 34، ومعنى ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ أي: ما حملت من ذكر أو أنثى، أو حسن أو قبيح، أو شقي أو سعيد، أو طويل العمر أو قصيره[3]، ولكن قد تعرض إشكالية لقارئ القرآن قضية معاصرة وهي تمكن العلماء من معرفة جنس الجنين قبل ولادته، و لذلك فإن الشيخ لمّا فسر هذه الآية نزّلها على هذا الأمر المستجدّ حيث أشار إلى أنّ استخدام الآلات الحديثة في معرفة جنس الجنين أمر لا يناقض اختصاص الله - سبحانه وتعالى- بعلم الغيب، فقال" **ما ادّعي اليوم** من أنه بواسطة الآلات الحديثة قد عرف ما في رحم المرأة فهذه المعرفة ليست داخلة في قوله تعالى ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ لأنها بمثابة من فتح البطن ونظر ما فيه فقال هو كذا، وذلك لوجود أشعة عاكسة، أما المنفي عن كل أحد إلا الله أن يقول المرء: إن في بطن امرأة فلان ذكراً أو أنثى ولا يقرب منها ولا يجرّبها في ولادتها السابقة، ولا يحاول أن يعرف ما في بطنها بأية محاولة"[4]، وهذه الإشارة من الشّيخ يُفهم منها جواز التعرف على جنس الجنين بواسطة الآلات الحديثة، وأنه أمر لا بأس به،فهو لا يقدح في علم الله – تبارك وتعالى -.

4- **القضية الرابعة: تناول حبوب منع الحمل**: و هذه الحبوب ما انتشر أمره في شتّى البلاد الغربية والإسلامية، فكان لا بد من معرفة حكمها الشرعي، فالتمس العلماء لها حكما شرعي من القرآن والسنة بطريق الاستنباط، ومن هؤلاء الشيخ أبي بكر الجزائري، فإنه لما فسّر قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الأنعام: 151، "بيّن

---

[1] أيسر التفاسير،ج2، ص127-128.

[2] المرجع نفسه، ج4، ص52.

[3] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير القرشي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1420هـ- 1999 م، (4/ 435).

[4] أيسر التفاسير، ج4، ص220.

حكم حبوب منع الحمل قياسا على العزل فقال:"استدل بهذه الآية من قال بتحريم العزل ومثله اليوم استعمال الحبوب لمنع الحمل والجمهور على الجواز للضرورة فقط لقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العزل: "ذلك الوأد الخفي"[1] فإنه ان لم يدل على التحريم دل على الكراهية"[2].

الفرع الثّالث: قضية حرمة العادة السّريّة والحفلات الغنائيّة :

أما قضية الاستمناء فقد كان معروفا عند المتقدمين ونص الفقهاء القدامى على حكمه وهو التحريم كما يراه الإمام الشافعي[3]، ولكن التنزيل الذي وقع من الشيخ أبي بكر الجزائري في هذه القضية فهو من حيث تسميتها حيث صارت تسمى بـ "العادة السرية"، ولذلك بين الشيخ حكمها وهو الحرمة ولو سميت بغير اسمها، وهذا أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٣٠ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴾ المعارج: 30-31، حيث قال" حفظ الفرج بستره عن أعين الناس ما عدا الزوج وصيانته من فاحشة الزنا واللواط وجلد عميرة أي: الاستمناء باليد **والمعروف اليوم بالعادة السرية** لقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾"[4].

وكذلك الأمر بالنسبة إلى الغناء، فحكمه معروف عند الفقهاء المتقدمين والمعاصرين[5]، ولذلك نبه الشيخ على حكمها وأظهر مسماها الجديد وهو "الحفلات الغنائية" وذلك لما فسّر قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ ﴾ لقمان: 6، فذكر الشيخ أن لهو الحديث هو الغناء ثم قال: "من هداية الآيات... حرمة حفلات الرقص والغناء الشائعة اليوم في العالم كافره ومسلمه"[6].

الفرع الرابع:كيفية إعداد القوة للجهاد وحكم أسرى فلسطين:

من المسائل التي اعتنى بها الشيخ ولم يهملها "القضية الفلسطينية" حيث نزل بعض الآيات المتعلقة بالقضية وكان يسميها باسمها ويحث على الاهتمام بها، ومن ذلك أنه لمّا فسّر قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥ ﴾ النساء: 75، بيّن وجوب الشيخ تحرير الأسرى بفلسطين وحثّ المؤمنين على القتال في سبيل الله حتّى يُعبد الله وحده ويتخلص الأسرى المسلمين من كيد العدو و تعذيبه، ثمّ إنّ الشيخ

---

[1] رواه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب جواز الغيلة وهى وطء المرضع وكراهة العزل، رقم: 3638 .

[2] أيسر التفاسير،ج2، ص140.

[3] تفسير الإمام الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، دار التدمرية - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1427 - 2006 م، (3/ 1098) .

[4] -أيسر التفاسير،ج5، ص434.

[5] ينظر تفصيل القضية في كتاب "تحريم آلات الطرب" للشيخ الألباني، تحريم آلات الطرب، مكتبة الدليل، ط1.

[6] -أيسر التفاسير،ج4، ص200و202 .

بيّن حكم إبقاء الأسرى بفلسطين في يد الأعداء فقال: " الإجماع على وجوب تخليص الأسرى من المسلمين بالقتال أو بالمال، ولا يحل تركهم تحت الكافر يضطهدهم ويعذبهم من أجل دينهم. وفي الحديث الصحيح: "فكوا العاني"[1] وهو الأسير، وسمي العاني لما يعانية من آلام وأتعاب، **والمسلمون اليوم أسرى تحت اليهود في فلسطين**، والمسلمون تاركون لهم غير مهتمين بهم، وهو ذنب عظيم"[2].

كما حث الشيخ على إعداد العدّة لقتال اليهود وغيرهم من الأعداء بحسب ما يناسب العصر من تطور في الآلات الحربية، وذلك لمّا فسّر قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الأنفال: 60، حيث قال: "من هداية الآيات: وجوب إعداد القوة وهي في كلّ زمان بحسبه إن كانت في الماضي الرمح والسيف ورباط الخيل، فهي اليوم النفاثة المقاتلة والصاروخ، والهدروجين والدبابة والغواصة، والبارجة"[3]، وقال في تفسره لسورة العاديات " الترغيب في الجهاد والإعداد له كالخيل أمس، ونفاث الطائرات اليوم"[4].

الفرع الخامس: بيان مقدار المسافات والمكاييل المعاصرة في مسافة القصر ومقدار فدية الصّيام:

أباح الله تعالى القصر في السفر رخصة منه وصدقة على عباده، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ النساء: 101[5]، وقد بين الفقهاء مقدار المسافة التي يقصر فيها المسافر بالقياسات القديمة التي كانت معروفة عندهم[6]، ولذلك فإن الشيخ لما فسّر قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾البقرة: 185، بيّن مسافة القصر بوحدة الكيلومتر المعروفة في زماننا حتى تكون واضحة عند القارئ فقال: " أوسط ما قيل في مسافة القصر إنها أربعة بُرُد، وهي ثمانية وأربعون ميلاً، والميل: ألفا ذراع عند أهل الأندلس **وهو يعادل الكيلو المتر المعروف الآن**"[7].

وأما القضية الثانية و هي مقدار فدية الصيام فقد ذكر الشيخ في سورة البقرة أنه

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الأحكام، باب إجابة الحاكم الدعوة، رقم: 6752.

[2] أيسر التفاسير، ج1،ص 509.

[3] المرجع نفسه، ج2،ص325.

[4] المرجع نفسه، ج5،ص607.

[5] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ، (2/ 93).

[6] البحر المديد، لابن عجيبة، (1/ 477).

[7] أيسر التفاسير، ج1، ص164.

حفنتان من الطعام[1]، ثم بيّن مقدار الحفنتين بوحدة الكيلوغرام المعروف في زماننا هذا لتكون المسألة واضحة، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٩٦﴾ البقرة: 196، حيث قال: " **ويجزئ اليوم** كيلو رز أو بر أو تمر لكل مسكين ولا يجوز إلقاء ذلك لحمام الحرم كما يفعل الجهال"[2]

الفرع السادس: الرد على من أنكر القصاص في الحضارة الغربية المعاصرة ومن تأثر بها:

شرّع الله –سبحانه وتعالى- القصاص، لما فيه من حكم كثيرة جاء ذكرها مجملة في قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (179)البقرة، لأنّه إذا علم القاتل أنّه إن قتل قُتل أمسك وارتدع عن القتل. ففيه حياة للّذي يهمّ بقتله، وحياة للهام[3]، وهذا الحكم لم تختصّ به الشريعة الإسلامية بل كان معمولا به عند الأمم السابقة، السابقة، إلا أن أنظمة الدول الغربية المعاصرة تنكره بشدّة بدعوى منافاته للإنسانية، وهذا ما وضّحه الشيخ أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ القصص: 33، حيث قال "يريد نفس القبطي الذي قتله خطأ أيام كان شاباً بمصر ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ أي يقتلوني به إن لم أبين لهم وأفهمهم حجتي...من هداية الآيات: بيان أن القصاص كان معروفا معمولا به عند أقدم الأمم، **وجاءت الحضارة الغربية** فأنكرته فتجرأ الناس على سفك الدماء وإزهاق الأرواح بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية ولذلك صح أن تسمى الخسارة البشرية بدل الحضارة الغربية" [4].

الخاتمة

بعد هذه الرحلة العلمية مع استنباطات الشيخ أبي بكر وتنزيلاته للآيات على الوقائع المعاصرة، نخلص إلى ما يلي:

- الشيخ أبو بكر جابر الجزائري فقيه مفسر مصلح بارع أراد أن يجد حلولا ليعض مشاكل وأمراض الأمة من خلال كلام الله تعالى .

- كتاب "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير"، مع حاشيته القيّمة" نهر الخير على أيسر التفاسير" تفسير جليل تضمّن فوائد جليلة متنوّعة وفرائد نادرة .

---

[1] المرجع السابق، ج1، ص161 .

[2] المرجع نفسه، ج1، ص177 .

[3] الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1422هـ- 2002 م، (2/ 56) .

[4] أيسر التفاسير، ج4، ص72-73 .

- اهتمّ الشيخ - رحمه الله – في تفسيره بتنزيل الآيات على الواقع، وذلك في مجالات مختلفة، منها ما تعلّق بالأحكام الفقهية، فكان يقوم أحيانا بتنزيل آيات الأحكام على الواقع .

- قام المُفسّر ببيان حكم بعض النوازل المعاصرة أثناء تفسيره للقرآن، حيث بين أسماء الأشياء عند المعاصرين ومقدار المسافات والمكاييل المعاصرة وغير ذاك .

قائمة المصادر و المراجع

- مصحف المدينة برواية حفص عن عاصم .
- الأساس في التفسير،سعيد حوّى، دار السلام – القاهرة الطبعة: السادسة، 1424 هـ.
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الخامسة، 1424هـ/2003م .
- أئمة الحرمين، عبد الله بن أحمد العلاف الغامدي، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1432هـ .
- البحر المديد ابن عجيبة الحسني، دار الكتب العلمية . بيروت، ط2 / 2002 م . 1423 هـ.
- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي،ت:محمد أبو الفضل إبراهيم،ط1، (1376هـ - 1959م)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه .
- تحريم آلات الطرب" للشيخ الألباني، تحريم آلات الطرب، مكتبة الدليل، الطبعة : الأولى.
- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الغرناطي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى - 1416 هـ .
- تفسير الإمام الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، دار التدمرية - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1427 - 2006 م .
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير القرشي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ- 1999 م .
- التفسير و المفسرون في غرب إفريقيا،د محمد بن رزق بن طرهوني،ط1، 1426،دار ابن الجوزي.
- تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، دراية وتطبيق، عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر، الطبعة الأولى (1428-2007)،جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم .
- التيسير اللغوي لمعاني القرآن بالتفسير و البيان لدى أبي بكر الجزائري من خلال كتابه-أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير-، حيزية كروش، أقلام الهند، السنة 4،العدد 4، (أكتوبر-ديسمبر2019)/ دراسات ومقالات .
- صحيح البخاري، دار ابن كثير،بيروت،ط: 3، 1407/ 1987، ت: د مصطفى ديب البغا.
- صحيح مسلم، دار الجيل - بيروت و دار الأفاق الجديدة - بيروت .
- مقال : الشيخ أبو بكر جابر الجزائري الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسّر، د المسعود جمادي، مجلة الإحياء، المجلد19،العدد22، سبتمبر2019 .
- مقال: أعلام السلفية(13)،ترجمة العالم الواعظ المعمّر أبو بكر الجزائري، إعداد مركز سلف للبحوث لدراسات، salafcenter.org//wp_content/uploads/الرابط:https: 08/2018 .
- مقال: بعنوان: ترجمة (إمام المسجد النبوي)فضيلة الشيخ أبو بكر جابر، عبد الله أحمد آل علاف الغامدي، الجزائري، الرابط:

. http://saaid.net/doat/gamdi/31.htm،